وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، .....

وقولنا فيما يختصّ به حتى نسلم من شُبُهات كثيرة، منها شبهات النافين للصِّفات؛ لأنَّ النَّافين للصفات زعموا أنَّ إثبات الصفات إشراك بالله ـ عز وجل ـ، حيث قالوا: يلزم من ذلك التَّمثيل، لٰكننا نقول: للخالق صفات تختصُّ به، وللمخلوق صفات تختص به.

قوله: «**وأنَّ محمدًا عبده ورسوله**»: محمد: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشي، الهاشمي، خاتم النبيين.

وقوله: «**عبده**»؛ أي: ليس شريكًا مع الله.

وقوله: «**ورسوله**»؛ أي: المبعوث بما أوحي إليه؛ فليس كاذبًا على الله. فالرسول ﷺ عبدٌ مربوب، جميع خصائص البشريَّة تلحقه ما عدا شيئًا واحدًا، وهو ما يعود إلى أسافل الأخلاق؛ فهو معصوم منه، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٢]. فهو بشرٌ مثلنا؛ إلا أنه يُوحى إليه، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [فصلت: ٦].

ومن قال: إنَّ الرسول ﷺ ليس له ظل، أو أن نوره يطفئ ظله إذا مشى في الشمس؛ فكله كذب باطل، ولهٰذا قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أمدّ رجلي بين يديه، وتعتذر بأن البيوت ليس فيها مصابيح»[1]، فلو كان النبي ﷺ له نور؛ لم تعتذر رضي الله عنها، ولٰكنه الغلو الذي أفسد الدين والدنيا، والعياذ بالله. ومن الغلوّ قول البوصيري في «البردة» المشهورة:

(١) أخرجه البخاري (٥١٣) ومسلم (٥١٢).

.....

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذًا يوم المعاد يدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

قال ابن رجب وغيره: إنه لم يترك لله شيئًا ما دامت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ.

ونشهد أن من يقول هٰذا؛ ما شهد أنَّ محمدًا عبد الله، بل شهد أن محمدًا فوق الله! كيف يصل بهم الغلّو إلى هٰذا الحد؟!

وهٰذا الغلو فوق غلو النصارى الذين قالوا: إنَّ المسيح ابن الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة.

هم قالوا فوق ذٰلك، قالوا: إن الله يقول: «**من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وأنا مع عبدي إذا ذكرني**»[1]، والرسول معنا إذا ذكرناه، ولهٰذا كان أولٰئك الغلاة ليلة المولد إذا تلى التالي «المُخرّف» كلمة المصطفى قاموا جميعًا قيام رجل واحد، يقولون: لأنَّ الرسول ﷺ حضر مجلسنا بنفسه، فقمنا إجلالاً له، والصحابة رضي الله عنهم أشدّ إجلالاً منهم ومنَّا، ومع ذٰلك إذا دخل عليهم الرسول ﷺ وهو حيٌّ يُكلمهم لا يقومون له، وهٰؤلاء يقومون إذا تخيلوا أو جاءهم شبح إن كانوا يشاهدون شيئًا؛ فانظر كيف بلغت بهم عقولهم إلى هٰذا الحد! فهٰؤلاء ما شهدوا أن محمدًا عبد الله ورسوله، وهٰؤلاء المخرّفون مساكين، إن نظرنا إليهم بعين

(١) من حديث أبي هريرة، رواه: البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، ٤/ ٢٨٤)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٤/ ٢٠٦١).

.....

القدر؛ فنرقُّ لهم، ونسأل الله لهم السلامة والعافية، وإن نظرنا إليهم بعين الشرع؛ فإننا يجب أن ننابذهم بالحجة حتى يعودوا إلى الصراط المستقيم، والرسول ﷺ أشدُّ الناس عبودية لله، أخشاهم لله، وأتقاهم لله، قام يصلي حتى تورَّمت قدماه، وقيل له في ذٰلك؛ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١)، وقد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، هٰذا تحقيق العبادة العظيمة.

أما الرسالة؛ فهو رسول أرسله الله ـ عز وجل ـ بأعظم شريعة إلى جميع الخلق، فبلَّغها غاية البلاغ، مع أنه أوذي وقوتل، حتى إنَّهم جاؤوا بسلا الجزور وهو ساجد عند الكعبة ووضعوه على ظهره، كل ذٰلك كراهيةً له ولما جاء به، ومع ذٰلك صبر، يلقون الأذى والأنتان والأقذار على عتبة بابه، لٰكن هٰذا للنبي الكريم امتحان من الله ـ عز وجل ـ؛ لأجل أن يتبين صبره وفضله، يخرج ويقول: «**أي جوار هٰذا يا بني عبد مناف؟**»(٢)، فصبر ﷺ؛ حتى فتح الله عليه، وأنذر أمَّ القرى ومن حولها، ثم إنه حمل هٰذه الشريعة من بعده أشد الناس أمانةً وأقواهم على الاتباع؛ الصحابة رضي الله عنهم، وأدّوها إلى الأمة نقيَّة سليمة، ولله الحمد.

ونحبُّ الرسول ﷺ لله وفي الله؛ فحبُّ الرسول ﷺ من حبِّ الله، ونقدِّمه على أنفسنا وأهلنا وأولادنا والناس أجمعين، وأحببناه من أجل أنه رسول الله ﷺ. ونحقق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، وذٰلك بأن نعتقد

(١) من حديث عائشة، رواه: البخاري (كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح ٣/ ٢٩٣)، ومسلم (كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال، ٤/ ٢١٧٢).

(٢) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٥٤)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٤٨٩)، وغيرهم من أهل السير.

.....

ذٰلك بقلوبنا، ونعترف به بألسنتنا، ونطبّق ذٰلك في متابعته ﷺ بجوارحنا، فنعمل بهديه، ولا نعمل له. أما ما ينقض تحقيق هٰذه الشهادة؛ فهو:

١ ـ فعل المعاصي؛ فالمعصية نقص في تحقيق هٰذه الشهادة؛ لأنَّك خرجت بمعصيتك من اتباع النبي ﷺ.

٢ ـ الابتداع في الدين ما ليس منه؛ لأنَّك تقرَّبت إلى الله بما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ، والابتداع في الدين في الحقيقة من الاستهزاء بالله؛ لأنَّك تقرَّبت إليه بشيء لم يشرعه.

فإن قال قائل: أنا نويت التقرُّب إلى الله بهٰذا العمل الذي أبتدعه.

قيل له: أنت أخطأت الطريق؛ فَتُعْذَر على نيتك، ولا تعذر على مخالفة الطريق متى علمت الحق.

فالمبتدعون قد يقال: إنَّهم يثابون على حسن نيتهم إذا كانوا لا يعلمون الحق، ولٰكننا نُخطِّئهم فيما ذهبوا إليه، أمَّا أئمتهم الذين علموا الحق، ولٰكن ردّوه لِيُبْقوا جاههم؛ ففيهم شبه بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، وغيرهم الذين قابلوا رسالة النبي ﷺ بالرد إبقاءً على رئاستهم وجاههم. أمَّا بالنسبة لأتباع هٰؤلاء الأئمة؛ فينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: الذين جهلوا الحق، فلم يعلموا عنه شيئًا، ولم يحصل منهم تقصير في طلبه، حيث ظنُّوا أنَّ ما هم عليه هو الحق؛ فهٰؤلاء معذورون.

القسم الثاني: من علموا الحق، ولٰكنهم ردّوه تعصُّبًا لأئمتهم؛ فهٰؤلاء لا يعذرون، وهم كمن قال الله فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ .....

وقوله: «وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله»: الكلام فيها كالكلام في شهادة أن محمدًا رسول الله، إلا أننا نؤمن برسالة عيسى، ولا يلزمنا اتباعه إذا خالفت شريعته شريعتنا.

فشريعة من قبلنا لها ثلاث حالات:

الأولى: أن تكون مخالفة لشريعتنا؛ فالعمل على شرعنا.

الثانية: أن تكون موافقة لشريعتنا؛ فنحن متبعون لشريعتنا.

الثالثة: أن يكون مسكوتًا عنها في شريعتنا، وفي هٰذه الحال اختلف علماء الأصول: هل نعمل بها، أو ندعها؟ والصحيح أنها شرع لنا، ودليل ذٰلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد تطرَّف في عيسى طائفتان:

الأولى: اليهود كذَّبوه، فقالوا: بأنَّه ولد زنى، وأنَّ أُمه من البغايا، وأنَّه ليس بنبي، وقتلوه شرعًا؛ أي: محكوم عليهم عند الله أنهم قتلوه في حكم الله الشرعي؛ لقوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٧]، وأمَّا بالنسبة لحكم الله القدري؛ فقد كذبوا، وما قتلوه يقينًا، بل رفعه الله إليه، ولٰكن شُبِّه لهم، فقتلوا المُشبَّه لهم وصلبوه.

الثانية: النصارى قالوا: إنَّه ابن الله، وإنه ثالث ثلاثة، وجعلوه إلٰهًا مع الله، وكذبوا فيما قالوا.

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ .....

أما عقيدتنا نحن فيه: فنشهد أنه عبد الله ورسوله، وأن أمه صديقة؛ كما أخبر الله تعالى بذلك، وأنها أحصنت فرجها، وأنَّها عذراء، ولكن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له: كن؛ فيكون.

وفي قوله: «**عبد الله**»: رد على النصارى.

وفي قوله: «**ورسوله**»: رد على اليهود.

قوله: «**وكلمته ألقاها إلى مريم**»: أطلق الله عليه كلمة؛ لأنَّه خلق بالكلمة عليه السلام؛ فالحديث ليس على ظاهره؛ إذ عيسى عليه السلام ليس كلمة؛ لأنه يأكل، ويشرب، ويبول ويتغوَّط، وتجري عليه جميع الأحوال البشرية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وعيسى عليه السلام ليس كلمة الله؛ إذ أنَّ كلام الله وصف قائم به، لا بائن منه، أمَّا عيسى؛ فهو ذات بائنة عن الله ـ سبحانه ـ، يذهب ويجيء، ويأكل الطعام ويشرب.

قوله: «**ألقاها إلى مريم**»: أي: وَجَّهَهَا إليها بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومريم ابنة عمران ليست أخت موسى وهارون عليهما السلام كما يظنه بعض الناس، ولكن كما قال الرسول ﷺ كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم[1]؛ فهارون أخو مريم، ليس هارون أخا موسى، بل هو آخر يسمى باسمه، وكذلك عمران سمي باسم أبي موسى.

(١) من حديث المغيرة بن شعبة، رواه: مسلم (كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وما يستحب من الأسماء، ٣/ ١٦٨٥).

وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ، .....

قوله: «وروح منه»: أي: صار جسده عليه السلام بالكلمة، فنفخت فيه هٰذه الروح التي هي من الله؛ أي: خلق من مخلوقاته أضيفت إليه تعالى للتشريف والتكريم.

وعيسى عليه السلام ليس روحًا، بل جسد ذو روح، قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. فبالنفخ صار جسدًا، وبالروح صار جسدًا وروحًا.

وقوله: «منه»: هٰذه هي التي ضلَّ بها النصارى، فظنوا أنه جزء من الله، فضلُّوا وأضلوا كثيرًا، ولٰكننا نقول: إنَّ الله قد أعمى بصائركم؛ فإنَّها لا تعمى الأبصار ولٰكن تعمى القلوب التي في الصدور؛ فمن المعلوم أنَّ عيسى عليه السلام كان يأكل الطعام، وهٰذا شيء معروف، ومن المعلوم أيضًا أنَّ اليهود يقولون: إنهم صلبوه، وهل يمكن لمن كان جزءًا من الرب أن ينفصل عن الرب ويأكل ويشرب ويُدَّعى أنه قُتِل وصُلِب؟

وعلى هٰذا تكون «من» للابتداء، وليست للتبعيض؛ فهي كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ فلا يمكن أن نقول: إنَّ الشمس والقمر والأنهار جزء من الله وهٰذا لم يقل به أحد.

فقوله: «منه»؛ أي: روح صادرة من الله ـ عز وجل ـ، وليست جزءًا من الله كما تزعم النصارى. واعلم أنَّ ما أضافه الله إلى نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العين قائمة بنفسها، وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق

.....

إلى خالقه، وهٰذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه؛ كقوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وكقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وهٰذا القسم مخلوق.

الثاني: أن يكون شيئًا مضافًا إلى عين مخلوقة يقوم بها، مثاله قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فإضافة هٰذه الروح إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفًا؛ فهي روح من الأرواح التي خلقها الله، وليست جزءًا أو روحًا من الله؛ إذ أنَّ هٰذه الروح حلّت في عيسى عليه السلام، وهو عين منفصلة عن الله، وهٰذا القسم مخلوق أيضًا.

الثالث: أن يكون وصفًا غير مضاف إلى عين مخلوقة. مثال ذٰلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فالرِّسالة والكلام أضيفا إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فإذا أضاف الله لنفسه صفة؛ فهٰذه الصفة غير مخلوقة، وبهٰذا يتبيَّن أن هٰذه الأقسام الثلاثة: قسمان منها مخلوقان، وقسم غير مخلوق.

فالأعيان القائمة بنفسها والمتصل بهٰذه الأعيان مخلوقة، والوصف الذي لم يذكر له عين يقوم بها غير مخلوق؛ لأنه يكون من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة.

وقد اجتمع القسمان في قوله: «**كلمته، وروح منه**»؛ فكلمته هٰذه وصف مضاف إلى الله، وعلى هٰذا؛ فتكون كلمته صفة من صفات الله.

أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». أَخْرجاهُ(١).

وَلَهُمَا(٢) فِي حَديثِ عِتْبَانَ: ....

وروح منه: هٰذه أضيفت إلى عين؛ لأنَّ الروح حلّت في عيسى؛ فهي مخلوقة.

قوله: «أدخله الله الجنة»: إدخال الجنة ينقسم إلى قسمين:

الأول: إدخال كامل لم يسبق بعذاب لمن أتمَّ العمل.

الثاني: إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن نقص العمل.

فالمؤمن إذا غلبت سيئاته حسناته إن شاء الله عذَّبه بقدر عمله، وإن شاء لم يعذِّبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

* * *

قوله: «عتبان»: هو عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، كان يصلي بقومه، فضعف بصره، وشقَّ عليه الذهاب إليهم، فطلب من النبي ﷺ أن يخرج إليه وأن يُصلي في مكان من بيته ليتخذه مصلًّى، فخرج إليه النبي ﷺ ومعه طائفة من أصحابه، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما دخل البيت؛ قال: «أين تريد أن أصلي؟». قال: صلِّ ها هنا. وأشار إلى ناحية من البيت، فصلَّى بهم النبي ﷺ ركعتين، ثم جلس على طعام صنعوه له، فجعلوا يتذاكرون، فذكروا رجلاً يقال له

(١) رواه: البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾**، ٢/ ٤٨٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ١/ ٥٧).

(٢) من حديث عتبان بن مالك، رواه: البخاري (كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ١/ ١٥٤)، ومسلم (كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥).

«فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ».

مالك بن الدُّخْشُم، فقال بعضهم: هو منافق. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقل هٰكذا؛ أليس قال: لا إله إلا الله يريد بذٰلك وجه الله؟!**». ثم قال: «**فإن الله حرَّم على النار...**» الحديث.

فنهاهم أن يقولوا هٰكذا؛ لأنَّهم لا يدرون عمَّا في قلبه؛ لأنَّه يشهد أن لا إلٰه إلا الله، وهنا الرسول قال هٰكذا، ولم يبرئ الرجل، إنَّما أتى بعبارة عامة بأنَّ الله حرَّم على النار من قال: لا إلٰه إلا الله يبتغي بذٰلك وجه الله، ونهى أن نطلق ألسنتنا في عباد الله الذين ظاهرهم الصلاح، ونقول: هٰذا مراءٍ، هٰذا فاسق، وما أشبه ذٰلك؛ لأننا لو أخذنا بما نظنّ فسدت الدنيا والآخرة؛ فكثير من الناس نظنُّ بهم سوءًا ولٰكن لا يجوز أن نقول ذٰلك وظاهرهم الصلاح، ولهٰذا قال العلماء: يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة.

قوله: «فإن الله حرَّم على النار»: أي: منع من النار، أو منع النار أن تصيبه.

قوله: «من قال: لا إلٰه إلا الله»: أي: بشرط الإخلاص، بدليل قوله: «**يبتغي بذٰلك وجه الله**»؛ أي: يطلب وجه الله ومن طلب وجهًا؛ فلا بد أنْ يعمل كل ما في وُسعه للوصول إليه؛ لأنَّ مبتغي الشيء يسعى في الوصول إليه، وعليه؛ فلا نحتاج إلى قول الزهريّ رحمه الله بعد أن ساق الحديث؛ كما في «صحيح مسلم»[1]؛ حيث قال: «ثم وجبت بعد ذٰلك أمور، وحُرِّمت أمور؛ فلا يغترّ مغترٌّ بهٰذا»؛ فالحديث واضح الدلالة على شرطية العمل لمن قال: لا إلٰه إلا الله، حيث قال: «**يبتغي بذٰلك وجه الله**»،

---

(١) في (كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٦).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: «**قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَارَبِّ! عَلِّمْنِي شيئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ**

ولذا قال بعض السلف عند قول النبي ﷺ: «**مفتاح الجنة: لا إله إلا الله**»[1]، لٰكن من أتى بمفتاح لا أسنان له لا يفتح له.

قال شيخ الإسلام: إنَّ المبتغي لا بد أن يُكمِّل وسائل البُغية، وإذا أكملها حُرِّمت عليه النار تحريمًا مطلقًا، فإذا أتى بالحسنات على الوجه الأكمل؛ فإنَّ النار تحرم عليه تحريمًا مطلقًا، وإن أتى بشيء ناقص؛ فإن الابتغاء فيه نقص، فيكون تحريم النار عليه فيه نقص، لٰكن يمنعه ما معه من التوحيد من الخلود في النار، وكذا من زنى، أو شرب الخمر، أو سرق، فإذا فعل شيئًا من ذٰلك ثم قال حين فعله: أشهد أن لا إله إلا الله أبتغي بذٰلك وجه الله؛ فهو كاذب في زعمه؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[2]، فضلًا عن أن يكون مبتغيًا وجه الله.

وفي الحديث ردٌّ على المرجئة الذين يقولون: يكفي قول: لا إله إلا الله، دون ابتغاء وجه الله. وفيه ردٌّ على الخوارج والمعتزلة؛ لأنَّ ظاهر الحديث أنَّ مَنْ فعل هٰذه المحرَّمات لا يُخلَّد في النار، لٰكنه مستحق للعقوبة، وهم يقولون: إن فاعل الكبيرة مخلَّد في النار.

* * *

قوله: «أذكرك وأدعوك به»: صفة لشيء، وليست جواب الطلب؛ فموسى عليه السلام طلب شيئًا يحصل به أمران:

(١) كما في «صحيح البخاري» عن وهب بن منبه. انظر: «الفتح» (٣/ ١٠٩).
والحديث عزاه الهيثمي للإمام أحمد والبزار. وخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦)، ولفظه: «مفاتيح الجنة...».

(٢) من حديث أبي هريرة، رواه: البخاري (كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، ٢/ ٢٠١) ومسلم (كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، ١/ ٧٦).

بِهِ. قال: قُلْ يا مُوسَى: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هٰذَا؟ قَالَ: يَا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّماوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي والأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، .....

١ ـ ذكر الله.

٢ ـ دعاؤه.

فأجاب الله بقوله: «**قل لا إله إلا الله**»، وهٰذه الجملة ذكر متضمن للدعاء؛ لأنَّ الذاكر يريد رضا الله عنه، والوصول إلى دار كرامته، إذًا؛ فهو ذكر متضمِّن للدعاء، قال الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحِبَاء

يعني: عطاؤك.

واستشهد ابن عباس على أنَّ الذكر بمعنى الدعاء بقول الشاعر:

إذا أثنى عليك العبد يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء

قوله: «كل عبادك يقولون هٰذا»: ليس المعنى أنها كلمة هينة كلٌّ يقولها؛ لأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام يعلم عظم هٰذه الكلمة، ولٰكنه أراد شيئًا يختصُّ به؛ لأنَّ تخصيص الإنسان بالأمر يدل على منقبة له ورفعة؛ فبيَّن الله لموسى أنَّه مهما أعطي فلن يعطى أفضل من هذه الكلمة، وأنَّ لا إله إلا الله أعظم من السماوات والأرض وما فيهن؛ لأنَّها تميل بهن وترجح، فدلَّ ذٰلك على فضل لا إله إلا الله وعظمها لٰكن لا بد من الإتيان بشروطها، أمَّا مجرَّد أن يقولها القائل بلسانه؛ فكم من إنسان يقولها لٰكنها عنده كالريشة لا تساوي شيئًا؛ لأنَّه لم يقلها على الوجه الذي تمت به الشروط وانتفت به الموانع.

قوله: «والأرضين السبع»: في بعض النسخ بالرَّفع، وهٰذا لا يصلح؛ لأنه إذا عطف على اسم أنَّ قبل استكمال الخبر وجب النصب.

وَ (لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ) في كِفَّةٍ؛ مالَتْ بِهِنَّ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ». رواه ابن حِبَّان والحاكِمُ وصَحَّحَهُ[1].

وللتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قالَ اللَّهُ تَعالى: يَا ابنَ آدَمَ! .....

قوله: «**مالت**»: أي: رجحت حتى يملن.

قوله: «**عامرهن**»: أي: ساكنهن؛ فالعامر للشيء هو الذي عَمَرَ به الشيء.

قوله: «**غيري**»: استثنى نفسه تبارك وتعالى؛ لأنَّ قول لا إله إلا الله ثناء عليه، والمثنى عليه أعظم من الثناء، وهنا يجب أن تعرف أن كون الله تعالى في السماء ليس ككون الملائكة في السماء؛ فكون الملائكة في السماء كون حاجي، فهم ساكنون في السماء لأنهم محتاجون إلى السماء، لٰكن الرب تبارك وتعالى ليس محتاجًا إليها، بل إنَّ السماء وغير السماء محتاج إلى الله تعالى؛ فلا يظن ظانٌّ أنَّ السَّماء تقل الله أو تظلّه أو تحيط به، وعليه؛ فالسماوات باعتبار الملائكة أمكنة مقلة للملائكة، وما فوقهم منها مظلٌّ لهم، أما بالنسبة لله؛ فهي جهة لأن الله تعالى مستوٍ على عرشه، لا يُقلّه شيء من خلقه.

قوله: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم...**» **إلخ**: هٰذا من الأحاديث القدسية، والحديث القدسي: ما رواه النبي ﷺ عن ربه، وقد أدخله

(١) رواه: ابن حبان برقم (٢٣٢٤)، والحاكم (١/ ٥٢٨) ـ وصححه ووافقه الذهبي ـ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٠٢).
وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢) لأبي يعلى، وقال: «رجاله وثقوا على ضعف فيهم».
وفيه دراج بن سمعان، أبو السمح، وهو ضعيف. انظر: «تقريب التهذيب» (١/ ٢٣٥).

.....

المحدثون في الأحاديث النبوية؛ لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغًا، وليس من القرآن بالإجماع، وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله ـ عز وجل ـ.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي: هل هو كلام الله تعالى، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه واللفظ لفظ رسول الله ﷺ؟ على قولين:

القول الأول: أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه؛ لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى، ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله، لا سيما والنبي ﷺ أقوى الناس أمانةً وأوثقهم روايةً.

القول الثاني: أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه لفظ النبي ﷺ، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظًا ومعنى؛ لكان أعلى سندًا من القرآن؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة؛ كما هو ظاهر السياق، أما القرآن؛ فنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

الوجه الثاني: أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله؛ لم يكن بينه وبين القرآن فرق؛ لأن كليهما على هٰذا التقدير كلام الله تعالى، والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل، ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروق كثيرة:

.....

منها: أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، بمعنى أن الإنسان لا يتعبد لله تعالى بمجرد قراءته؛ فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات، والقرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات.

ومنها: أن الله تعالى تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه، ولم يرد مثل ذٰلك في الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن محفوظ من عند الله تعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والأحاديث القدسية بخلاف ذٰلك؛ ففيها الصحيح والحسن، بل أضيف إليها ما كان ضعيفًا أو موضوعًا، وهٰذا وإن لم يكن منها لٰكن نسب إليها وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص.

ومنها: أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين، وأما الأحاديث القدسية؛ فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى والأكثرون على جوازه.

ومنها: أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يقرؤه الجنب حتى يغتسل على القول الراجح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني، فلو أنكر منه حرفًا أجمع القراء عليه؛ لكان كافرًا، بخلاف الأحاديث القدسية؛

.....

فإنه لو أنكر شيئًا منها مدعيًا أنه لم يثبت؛ لم يكفر، أما لو أنكره مع علمه أن النبي ﷺ قاله؛ لكان كافرًا لتكذيبه النبي ﷺ.

وأجاب هٰؤلاء عن كون النبي ﷺ أضافه إلى الله، والأصل في القول المضاف أن يكون لفظ قائله بالتسليم أن هٰذا هو الأصل، لٰكن قد يضاف إلى قائله معنًى لا لفظًا؛ كما في القرآن الكريم؛ فإن الله تعالى يضيف أقوالاً إلى قائليها، ونحن نعلم أنها أضيفت معنًى لا لفظًا، كما في «قصص الأنبياء» وغيرهم، وكلام الهدهد والنملة؛ فإنه بغير هٰذا اللفظ قطعًا.

وبهٰذا يتبين رجحان هٰذا القول، وليس الخلاف في هٰذا كالخلاف بين الأشاعرة وأهل السنة في كلام الله تعالى؛ لأن الخلاف بين هٰؤلاء في أصل كلام الله تعالى؛ فأهل السنة يقولون: كلام الله تعالى كلام حقيقي مسموع يتكلم سبحانه بصوت وحرف، والأشاعرة لا يثبتون ذٰلك، وإنما يقولون: كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه، وليس بحرف وصوت، ولٰكن الله تعالى يخلق صوتًا يعبر به عن المعنى القائم بنفسه، ولا شك في بطلان قولهم، وهو في الحقيقة قول المعتزلة؛ لأن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وهو كلام الله، وهؤلاء يقولون: القرآن مخلوق، وهو عبارة عن كلام الله؛ فقد اتفق الجميع على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق.

ثم لو قيل في مسألتنا ـ الكلام في الحديث القدسي ـ: إنَّ الأَوْلَى ترك الخوض في هٰذا؛ خوفًا من أن يكون من التنطع الهالك فاعله، والاقتصار على القول بأن الحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن ربه وكفى؛ لكان ذٰلك كافيًا، ولعله أسلم والله أعلم.

لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطَايا، ثم لَقيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شيئًا؛ لأتيْتُكَ بِقُرابِها مغفِرَةً»[1].

* **(فائدة):**

إذا انتهى سند الحديث إلى الله تعالى سمي (قدسيًا)؛ لقدسيّته وفضله، وإذا انتهى إلى الرسول ﷺ سمي مرفوعًا، وإذا انتهى إلى الصحابي سمي موقوفًا، وإذا انتهى إلى التابعي فمن بعده سمي مقطوعًا.

قوله: «بقراب الأرض»: أي: ما يقاربها؛ إمّا ملئًا، أو ثقلاً، أو حجمًا.

قوله: «خطايا»: جمع خطيئة، وهي الذنب، والخطايا الذنوب؛ ولو كانت صغيرة؛ لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١].

قوله: «لا تشرك بي شيئًا»: جملة «**لا تشرك**» في موضع نصب على الحال من التاء؛ أي: لقيتني في حال لا تشرك بي شيئًا.

قوله: «شيئًا»: نكرة في سياق النفي تفيد العموم؛ أي: لا شركًا أصغر ولا أكبر.

وهٰذا قيد عظيم قد يتهاون به الإنسان، ويقول: أنا غير مشرك وهو لا يدري؛ فحبّ المال مثلاً بحيث يلهي عن طاعة الله من الإشراك، قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخمصية، تعس عبد الخميلة...**» الحديث[2].

---

(١) رواه: الترمذي (الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، (٥/٥٤٨) رقم (٣٥٤٠)، وله شاهد عند مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذرٍّ.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٥).

● فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: سِعَةُ فَضْلِ اللَّهِ.

الثانية: كَثْرَةُ ثوابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللَّهِ.

الثالثة: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذٰلك للذُّنُوبِ.

الرابعة: تَفْسِيرُ الآيةِ الَّتِي في سُورَةِ الأَنْعَامِ.

فسمَّى النبي ﷺ من كان هذا همّه سمَّاه: عبدًا له.

قوله: «لأتيتك بقرابها مغفرة»: أي: أنَّ حسنة التوحيد عظيمة تُكفِّر الخطايا الكبيرة إذا لقي الله وهو لا يشرك به شيئًا، والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه.

مناسبة الحديث للترجمة:

أن في هٰذا الحديث فضل التوحيد، وأنه سبب لتكفير الذنوب؛ فهو مطابق لقوله في الترجمة: «وما يكفر من الذنوب».

قوله: «فيه مسائل»:

● **الأولى**: **«سعة فضل الله»**: لقوله: **«أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**.

● **الثانية**: **كثرة ثواب التوحيد عند الله**: لقوله: **«مالت بهن لا إلٰه إلا الله»**.

● **الثالثة**: **تكفيره مع ذلك للذنوب**: **لقوله**: **«لأتيتك بقرابها مغفرة»**؛ فالإنسان قد تغلبه نفسه أحيانًا؛ فيقع في الخطايا، لٰكنه مخلص لله في عبادته وطاعته؛ فحسنة التوحيد تكفر عنه الخطايا إذا لقي الله بها.

● **الرابعة**: **تفسير الآية التي في سورة الأنعام**: وهي قوله تعالى:

الخامسة: تَأَمُّلُ الخَمْسِ اللَّواتِي في حَدِيثِ عُبَادةَ.

السادسة: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ؛ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ: «**لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**»، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغْرورِينَ.

السابعة: التَّنْبِيهُ للشَّرْطِ الَّذِي في حَدِيثِ عِتْبَانَ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، فالظلم هنا الشِّرك؛ لقوله ﷺ: «**ألم تسمعوا قول الرجل الصالح**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[1].

● **الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.**

١ ـ ٢ ـ الشهادتان.

٣ ـ أنَّ عيسى عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه،.

٤ ـ أنَّ الجنة حق.

٥ ـ أنَّ النار حق.

● **السادسة: أنَّك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان، وحديث أبي سعيد، وحديث أنس؛ تبيَّن لك معنى قول: لا إله إلا الله، وتبين لك خطأ المغرورين**: لأنَّه لا بدّ أن يبتغي بها وجه الله، وإذا كان كذلك؛ فلا بدَّ أن تحمل المرء على العمل الصالح.

● **السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان**: وهو أن يبتغي بقولها وجه الله، ولا يكفي مجرَّد القول؛ لأنَّ المنافقين كانوا يقولونها ولم تنفعهم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦١).

الثامنة: كَوْنُ الأنبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ للتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ (لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ).

التاسعةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزانُهُ.

العاشرة: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ كالسَّماواتِ.

● **الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله**: فغيرهم من باب أولى.

● **التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أنَّ كثيرًا ممن يقولها يخفّ ميزانه**: فالبلاء من القائل لا من القول؛ لأنَّه قد يكون اختلَّ شرطٌ من الشروط، أو وُجد مانع من الموانع؛ فإنَّها تخفّ بحسب ما عنده، أمَّا القول نفسه؛ فيرجح بجميع المخلوقات.

● **العاشرة: النص على أنَّ الأرضين سبع كالسماوات**: لم يرد في القرآن تصريح بذلك، بل ورد صريحًا أن السماوات سبع بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، لكن بالنسبة للأرضين لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ فالمثلية بالكيفية غير مرادة لظهور الفرق بين السماء والأرض في الهيئة، والكيفية، والارتفاع، والحسن؛ فبقيت المثلية في العدد.

أمَّا السنَّة؛ فهي صريحة جدًّا بأنها سبع؛ مثل قوله ﷺ: «**من اقتطع شبرًا من الأرض؛ طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»[1]. وقد اختلف في قوله ﷺ: «**من سبع أرضين**»؛ كيف تكون سبعًا؟ فقيل: المراد: القارات

---

(١) من حديث سعيد بن زيد، رواه: مسلم (كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، ٣/ ١٢٣٠).

الحادية عشرة: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إِثْباتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا للأشعرِيَّةِ.

الثالثة عشرة: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ؛ عَرَفْتَ أَن قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَال: لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»؛ أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَولَها باللِّسانِ.

السبع، وهٰذا ليس بصحيح؛ لأنَّ هٰذا يمتنع بالنسبة لقوله: «**طوقه من سبع أرضين**»، وقيل: المراد المجموعة الشمسية، لٰكن ظاهر النصوص أنها طباق كالسماوات، وليس لنا أن نقول إلا ما جاء في الكتاب والسنَّة عن هٰذه الأرضين؛ لأننا لا نعرفها.

● **الحادية عشرة: أنَّ لهن عُمَّارًا**: أي: السماوات، وعمارهن الملائكة.

● **الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية**: وفي بعض النُّسخ خلافًا للمعطلة، وهٰذه أحسن؛ لأنَّها أعمّ، حيث تشمل الأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم؛ ففيه إثبات الوجه لله سبحانه بقوله: «**يبتغي بذٰلك وجه الله**»، وإثبات الكلام بقوله: «**وكلمته ألقاها**»، وإثبات القول في قوله: «**قل لا إله إلا الله**».

● **الثالثة عشرة: أنَّك إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أنَّ قوله في حديث عتبان: «فإنَّ الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذٰلك وجه الله» أنْ ترك الشرك. وفي بعض النُّسخ: إذا ترك الشرك**: أي: أنَّ قوله: «**حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذٰلك (يعني: ترك الشرك)**»، وليس مجرد قولها باللسان؛ لأنَّ من ابتغى وجه الله في هٰذا القول لا يمكن أن يُشرك أبدًا.

الرابعة عشرة: تَأَمُّلُ الجَمْعِ بَيْنَ كَوْنِ عِيسى ومُحَمَّدٍ عَبْدَيِ الله وَرَسُولَيْهِ.

الخامسة عشرة: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللَّهِ.

السادسة عشرة: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السابعة عشرة: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيمانِ بِالجنَّةِ وَالنَّارِ.

● **الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون كل من عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه**: عبدي: منصوب على أنه خبر كون؛ لأنَّ كون مصدر كان وتعمل عملها وعيسى ومحمد: اسم كون.

وتأمل الجمع من وجهين:

الأول: أنَّه جمع لكل منهما بين العبودية والرسالة.

الثاني: أنه جمع بين الرجلين؛ فتبيَّن أن عيسى مثل محمد، وأنَّه عبد ورسول، وليس ربًّا ولا ابنًا للرب ـ سبحانه ـ. وقول المؤلف: «**تأمل**»؛ لأنَّ هٰذا يحتاج إلى تأمُّل..

● **الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله**: أي: أنَّ عيسى انفرد عن محمد في أصل الخِلْقة؛ فقد كان بكلمة، أمَّا محمد ﷺ؛ فقد خُلِقَ من ماء أبيه.

● **السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه**: أي: أنَّ عيسى روح من الله، و «من» هنا بيانية أو للابتداء، وليست للتبعيض؛ أي: روح جاءت من قِبَل الله وليست بعضًا من الله، بل هي من جملة الأرواح المخلوقة.

● **السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنَّة والنار**: لقوله في حديث عبادة: «**وأنَّ الجنة حق، والنار حق**»، والفضل أنه من أسباب دخول الجنة.

الثامنة عشرة: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «**عَلَى ما كَانَ مِنَ العَمَلِ**».

التاسعة عشرة: مَعْرِفَةُ أَنَّ المِيزانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

العشرون: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ.

● **الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل»**: أي: على ما كان من العمل الصالح ولو قلّ، أو على ما كان من العمل السيئ ولو كَثُرَ، بشرط أن لا يأتي بما ينافي التوحيد ويوجب الخلود في النار، لٰكن لا بد من العمل. ولا يلزم استكمال العمل الصالح كما قالت المعتزلة والخوارج، ولم تُذكر أركان الإسلام هنا؛ لأنَّ منها ما يكفر الإنسان بتركه، ومنها ما لا يكفر؛ فإنَّ الصحيح أنَّه لا يكفر إلا بترك الشهادتين والصلاة، وإن كان روي عن الإمام أحمد أنَّ جميع أركان الإسلام يكفر بتركها؛ لٰكن الصحيح خلاف ذٰلك.

● **التاسعة عشرة: معرفة أنَّ الميزان له كفَّتان**: أخذها المؤلف من قوله: «**لو أن السماوات... إلخ، وضعت في كفَّة ولا إلٰه إلا الله في كفَّة**». والظاهر أن الذي في الحديث تمثيل، يعني أنَّ قول: لا إلٰه إلا الله أرجح من كل شيء، وليس في الحديث أنَّ هٰذا الوزن في الآخرة، وكأن المؤلف رحمه الله حصل عنده انتقال ذهني؛ فانتقل ذهنه من هٰذا إلى ميزان الآخرة.

● **العشرون: معرفة ذكر الوجه**: يعني: وجه الله تعالى، وهو صفة من صفاته الخبرية الذاتية التي مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء؛ لأنَّ من صفات الله تعالى ما هو معنى محض، ومنه ما مسماه بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء، ولا نقول بالنسبة لله تعالى أبعاض؛ لأننا نتحاشى كلمة التبعيض في جانب الله تعالى.

* * *